اللغة المعيارية
عند يونس بن حبيب

د/ احمد محمد عبد الله

يعد يونس بن حبيب النحوى واحدا من القمم الشوامخ ، الذين كان لهم تأثير بالغ فى ارساء قواعد النحو العربى ، ولذا فقد اطلق عليه أنه امام نحاة البصرة فى عهده ، ومرجع الأدباء والنحويين فى زمانه (١)، وحسبه أنه تخرج فى حلقته الأفذاذ والأعلام فى كل مدرسة من المدارس النحوية بعد ذلك :البصرية والكوفية والبغدادية ، فهو بحق أستاذ العمالقة من أئمة النحو واللغة والأدب ، وفى طليعة هؤلاء التلميذ النابه سيبويه الذى أخذ عنه وروى فى كتابه الكثير من آرائه كما أخذ عنه الكسائى امام الكوفيين وأبو زكريا الفراء المؤسس الثانى لمدرسةالكوفة، وأبو عبيدة معمر بن المثنى صاحب مجاز القرآن وخلف الأحمر وأبو زيد الأنصارى ، وغيرهم من الأئمة فقد بلغت ملازمة أبى عبيده ليونس أربعين عاما ، كما بلغت ملازمة خلف الأحمر له عشرين عاما .

ويقولون أن أخبار جرير والفرزدق والأخطل وصلت الينا عن طريق يونس وان كتاب التعارض الذى ألفه أبو عبيدة اعتمد فيه على علم

---

(١) راجع ارشاد الأريب ١٠/٦٤ ومعجم الأدباء ٢٠/٦٤ .

يونس بن حبيب الذى كان ذا ثقافة متعددة الجوانب ، وقد بلغت النقول التى وردت فى كتاب سيبويه عنه مائتين نقلا تقريبا بل ان سيبويه أخذ بابين كاملين عن يونس وضعهما فى كتابه وقال : وجميع ما ذكرت لك فى هذا الباب وما أذكره لك فى الباب الذى يليه قول يونس (١) :

ومن ثم عرف القدماء قيمته الكبيرة وقدروه حق قدره فقد قال أبو الطيب اللغوى عنه : « كان مقدما » (٢) وكان بارعا فى النحو علامة بالأدب بل انه يعد من القلائل الذين برعوا فى غريب اللغة واشتقاقها ، وفى علم النحو مما فيه من نظرات دقيقة فى فهم التركيب اللغوى ، وتفسير ظواهره الاعرابية ، وقد وازن المبرد بينه وبين رجال طبقته فقال : كان أبو زيد عالما فى النحو ، ولم يكن مثل الخليل وسيبويه ، وكان يونس من باب أبى زيد فى العلم باللغات ، وكان يونس أعلم من أبى زيد » (٣) .

واسمه كما أوردته كتب التراجم :

يونس بن حبيب ، وكنيته أبو عبد الرحمن أو أبو محمد (٤) .

وقد تحدث المؤرخون عن بلدته التى انحدر منها الى البصرة ، فذكر بعضهم : أنها بليدة على نهر دجلة بين بغداد وواسط يقال لها : جبل « بضم الباء المشددة » وذكر آخرون أنه من أهل الجبل .

---

(١) راجع الكتاب ٣ : ١٠٩ ط بولاق .
(٢) مراتب النحويين : ٢١ .
(٣) راجع نزهة الألبا ١٢٦ ـ ١٢٧ والمفصل فى تاريخ النحو للدكتور الحلوانى ٢١١ .
(٤) طبقات الزبيدى ٥٣ والفهرست ١٣٥ .

وقد اختلفوا أيضا فى تحديد سنة ولادته فقيل انه ولد سنة ٨٠ هـ وقيل انه ولد سنة ٩٠ هـ أما وفاته فيكاد يتفق عليها وهى سنة ١٨٣ هـ فى خلافة الرشيد .

ولقد أتيح له أن يعاصر علماء لهم قدم راسخة فى اللغة والحديث والقراءة كأبى عمرو بن العلاء والأخفش الأكبر وحماد بن سلمة وأبى على الأسوارى .

وعاصر الحضرمى وعيسى بن عمر والخليل بن أحمد وهم أئمة النحو والقياس ، غير أنه كان شديد الاعجاب بأبى عمرو بن العلاء ، فقد لزم حلقته وتأثر به ولم يكتف بذلك بل ذكر أن حمادا أول من تعلم منه النحو ، فليس عجيبا أن يتخرج فى حلقة يونس العلماء الذين أسلفنا القول عنهم ويضاف اليهم يحيى بن المبارك اليزيدى وهو عالم بالنحو واللغة وقطرب محمد بن المستنير (١) وهو تلميذ سيبويه أيضا وأحد النحاة واللغويين .

ومن ثم فقد وجدنا سيبويه يستحسن آراء يونس تقديرا له واشادة بمكانته الكبيرة كأستاذ عظيم من الذين أرسوا دعائم النحو العربى .

فمن الآراء التى استحسنها سيبويه ما يلى :

١ — يجيز يونس الغاء أداة النصب للفعل المضارع حين تقع بعد حرف عطف كالفاء والواو ، وحينئذ فالفعل بعدها يجوز أن يكون

---

(١) مراتب النحويين ٦٧ .

مرفوعا ولا عمل لأذن فيه ، ويجوز أن منصوبا باذن ، كما أنه يجوز فى الفعل الجزم عطفا على الفعل السابق قال سيبويه فى هذا الصدد : هذا باب اذن ... وتقول : ان تأتنى آتك واذن أكرمك «بجزم الفعل أكرمك» اذا جعلت الكلام على أوله ولم تقطعه وعطفته على الأول ، وان جعلته مستقبلا نصبت ، وان شئت رفعت على قول من ألغى ، وهذا قول يونس وهو حسن ، لأنك اذا قطعته من الأول فهو بمنزلة قولك : فاذن أفعل « برفع الفعل » اذا كنت مجيبا رجلا (١) .

فقد استحسن سيبويه فى النص المتقدم الرفع على الالغاء كما قال يونس ، ويؤكد هذا ابن هشام الأنصارى الذى قال :

« اذا وقعت اذن بعد الواو أو الفاء جاز فيها الوجهان نحو قوله تعالى « واذن لا يلبثون خلافك الا قليلا » (٢) وقوله « فان لا يؤتون الناس نقيرا » (٣) وقرىء شاذا بالنصب فيهما ، والتحقيق أنه اذا قيل: أن تزرنى أزرك واذن أحسن اليك ، فان قدرت العطف على الجواب جزمت وبطل عمل اذن لوقوعها حشوا ، أو على الجملتين جميعا جاز الرفع والنصب لتقدم العاطف ، وقيل يتعين النصب لأن ما بعدها مستأنف ، أو لأن المعطوف على الأول أول ، ومثل ذلك : زيد يقوم واذن أحسن اليه ، ان عطفت على الفعلية رفعت أو على الاسمية فالمذهبان » (٤) .

---

(١) راجع الكتاب ١ : ٤١٠ ويونس البصرى للدكتور أحمد مكى الأنصارى ١٣٠ - ١٣١ .

(٢) أسراء ، الآية ٧٦ .

(٣) النساء الآية ٥٣ .

(٤) المغنى ١ : ٢١ .

٢ ــ فى تصغير كلمة «أحوى» أورد سيبويه رأيا لأبى عمـــرو بن العلاء ورأيا لعيسى بن عمر ورأيا ليونس ثم فاضل بينهما واختـــار رأى يونس ، لأن الصواب والقياس يقفان معه •

قال سيبويه « هذا باب تحقير بنات الياء والواو اللائى لا ما تهن ياءات وواوات •••

واعلم أنه اذا كان بعد ياء التصغير ياءان حذفت التى هى آخـــر الحروف ، ويصير الحرف على مثال «فعيل» ويجرى على وجوه العربية، وذلك قولك فى عطاء : عطى وقضاء : قضى وسقايه : سقيه ••• وكذلك أحوى الا فى قول من قال :

أســـــيود ولا تصرف ، لأن الزيادة ثابتة فى أوله ، ولا يلتفت الى قلته ، كما لا يلتفت الى قلة « يضع » وأما عيسى فكان يقـــــول : أحى ويصرف وهذا خطأ لو جاز لصرفت « أصم » لأنه أخف من أحمر ، وأما أبو عمرو فكان يقول «أحى» «بالتنوين للياء المكسورة المشددة» ولو جاز هذا لقلت فى عطاء :عطى لأنها ياء كهذه الياء ، وهى بعد ياء مكسورة ••• وأما يونس فيقول : « هذا أحى كما ترى وهو القياس والصواب » (١)•

فمن نص سيبويه المتقدم نلمح أن عيسى بن عمر حين يصغر «أحوى» يقول : أحى بياء مشدودة مع التنوين فهى مصروفة عنده ، وهذا الرأى رفضه سيبويه •

وقال أبو عمرو بن العلاء : أحى بياء مشددة مع الكسر والتنـــوين

---

(١) الكتاب ٢ : ١٣٢ •

فذهب بها مذهب «قاضى» أما يونس فيرى أنها ممنوعة من الصرف فلا تنون فقد قاسها على أحمر فهما متماثلتان وزنا وأصالة وزيادة ، فكان لزاما أن تكون كلمة «أحوى» مماثلة لكلمة أحمر فى الحكم أيضا فتكون ممنوعة من الصرف (١) ، وقد لقى هذا الرأى القبول عند سيبويه وقال انه الصواب والقياس على حين خطأ رأى عيسى ورد رأى أبى عمرو .

٣ ــ اذا وقع المضارع بعد العرض والتحضيض فانه يأخذ نفس الحكم الذى يأخذه حين يقع هذا الفعل بعد الاستفهام من حيث دخول نون التوكيد على الفعل بعده جوازا .

وقد ارتضى هذا الرأى سيبويه الذى قال :

هذا باب النون الثقيلة والخفيفة ... ثم قال ومن مواضعها الأفعال غير الواجبة التى تكون بعد حروف الاستفهام فصارت بمنزلة أفعال الأمر والنهى فان شئت أقحمت النون ، وان شئت تركت كما فعلت ذلك فى الأمر والنهى قال الأعشى :

فهل يمنعنى ارتيادى البلا د من حذر الموت أن يأتين

ثم قال وزعم يونس أنك تقول : هلا تقولن ، وألا تقولن ، وهذا أقرب لأنك تعرض ، وكأنك قلت : أفعل ، لأنه استفهام فيه معنى العرض » (٢) .

وأحيانا نرى سيبويه يفضله على الخليل أستاذه فمن ذلك :

١ ــ قال سيبويه : سألت الخليل عن القاضى فى النداء فقال : اختار

---

(١) راجع يونس البصرى ١٤٤ .
(٢) الكتاب ٢ : ١٥١ .

يا قاضى بالياء لأنه ليس بمنون كما اختار هذا القـــاضى ، وأما يونس فقال : يا قاضى « بالحذف والتنوين » وقول يونس أقوى » (١) .

ومن ذلك أيضا :

٢ ــ قال سيبويه : سألت الخليل عن قول الأعشى :

ان تركبوا فركوب الخيل عادتنا أو تنـــزلون فأنا معشر نزل

فقال الكلام هاهنا على قولك : يكون كذا أو يكون كذا لمـــا كان موضعها لو قال فيه : أتركبون ، لم ينقض المعنى صار بمنزلة قـــولك : ولا سابق شيئا .

وأما يونس فقال : أرفعه على الابتداء كأنه قال : أو أنتم تنزلون، وعلى هذا الوجه فسر الرفع فى الآية كأنه قال : وهو يرسل رسولا (٢) وقول يونس أسهل » (٣) .

فكأن يونس عطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية،وكان الخليل يذهب الى أن ذلك من باب العطف على التوهم (٤) ، أى عطف تنزلون على «تركبوا» على توهم أن حرف الشرط غير موجود .

---

(١) الكتاب ٢ : ٥١ هارون .

(٢) الشورى ، الآية ٥١ وتكملتها « وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا » .

(٣) راجع الكتاب ١ : ٤٢٩ والمغنى ٧٧٣ والمدارس النحوية : ٢٩ .

(٤) راجع المفصل فى تاريخ النحو ٢٢٠ .

اللغة المعيارية عند يونس :

يعد يونس بن حبيب من أوائل النحاة الذين وضعوا الحدود والضوابط للغة بالصورة التى تتفق مع منهجهم وما يرتضونه من أسس عن قناعة وقبول ، والمعايير التى أخذ بها يونس هى معايير بسيطة لم يتشدد فيها كتشدد الأصمعى ولم يتساهل فيها كما يفعل بعض النحاة من بصريين وكوفيين ، ونلمح هذه الضوابط والمعايير فى الاشارات التى كان يطلقها بين الحين والآخر فى كتاب سيبويه الذى يعد بحق المرجع الإساسى لآراء يونس النحوية ، فقد أطلق يونس فى آرائه مصطلحات جديرة بالنظر والتأمل كالجودة ــ والقبح ــ والخبيث ــ والاضطرار ــ والقلة وهى المستويات اللغوية التى ارتضاها ــ أحيانا ــ كحد فاصل للتمييز بين الأساليب ونحن نسوق أمثلة لذلك (١) :

١ ــ من المعروف لدى النحاة أن اللغة الجيدة هى كما كانت شائعة فى المناطق الفصيحة وموفقة للقواعد المستنتجة منها وذلك كرفع المبتدأ والخبر ونصب المفعول به وجر الاسم بحرف الجر ، وغير ذلك من الظواهر الاعرابية ، وهذا مستوى لغوى جيد يجد قبولا لدى النحاةلأنه لا تفاوت فيه تقريبا لأنه من أساسيات علم النحو ، وانما التفاوت فى الظواهر التى تقل فى الكلام الفصيح كتكرار المنادى فى مثل قول جرير :

يا تيم تيم عدى لا أبالكم لا يلقينكم فى سوءة عمر

فالقياس اللغوى المعروف أن يكون تيم الأولى مبنيا على الضم بسبب أنه منادى مفرد ولكنه جاء فى هذا البيت منصوبا على لغة من اللغات ، وقد ذكر يونس مستوى النصب على لسان سيبويه الذىقال :

---

(١) راجع المفصل فى تاريخ النحو ٢٢٠ .

هذا باب ما يكرر فيه الاسم فى حال الاضافة ، ويكون الأول بمنزلة الآخر ، وذلك قولك : يا زيد زيد عمرو ، ويا زيد زيد أخينا ويا زيد زيدنا بنصب زيد الأولى فى الأمثلة الثـــلاثة « زعم يونس ان هذا كله سواء وهى لغة للعرب جيدة » (١) •

٢ ــ أما معيار القبح عند يونس فقد قال سيبويه :

« هذا باب ما لا يجوز أن يندب وذلك قولك : وارجلاه ويا رجلاه ، وزعم الخليل ويونس أنه قبيح وأنه لا يقال » (٢) •

٣ ــ وهناك مستوى عند يونس وهو مستوى اللغة الخبيثة فقد نقل سيبويه عنه أنه لا يجوز أن ينسب الى فعيله أو فعيلة «بضم ففتح» فى الثانية الا بحذف الياء ولذلك لم يعجبه أن يقال فى حنيفة : حنيفى ، وفى سليمة : سليمى وفى عميره : عميرى وقال عن ذلك كله : هذا قليل خبيث • لأن القاعدة فى هذا أن تحذف الياء فى الأمثلة الثلاثة •

وقد ذكر بعض الباحثين أنه ربما كانت المعايير متداخلة الى حد ما، فربما لم يعرف على جهة القطع الفرق بين القبيح من اللغات والخبيث منها وربما غلب على الظن أن القبيح دون الخبيث فى المستوى فالنحاة المعاصرون ليونس لم يشيروا بشكل محدد الى فواصل قاطعةللمستويات اللغوية فغالبا ما تتداخل المعايير كالقبـــح والرداءة والضعف والخبث لذا فان بعضها يستعمل فى موضع الآخر (٣) •

---

(١) راجع الكتاب ٢ : ٢٠٥ بتصرف يسير •
(٢) راجع الكتاب ٢ : ٢٢٧ بتصرف يسير •
(٣) راجع المفصل فى تاريخ النحو ٢٢١ ــ ٢٢٢ •

وهناك مستوى يطلق عليه الضرورة « ذلك المستوى يحاول يونس أن يبحث له عن وجهه ترتضيه القواعد المستنتجة ، لأن الكلام اذا قاله أحد فصحاء اللغة فهو مقبول ولو خالف فى ظاهره القياس والعـــرف اللغوى ، وحينئذ يحتال له ويعيده مدقق الى وجه مقبول يعيد جنـــوحه الى القواعد الأصلية (١) .

ففى حديث سيبويه عن الضمير الذى يقع بعد «لولا» يقول :

« اذا أضمرت الاسم « أى بعد لولا » جر ، واذا أظهرت رفع ، ولو جاءت علامة الاضمار على القياس لقلت : لولا أنت ، كما قال سبحانه وتعالى « لولا أنتم لكنا مؤمنين » (٢) ولكنهم جعلوه مضمرا مجرورا ، والدليل على ذلك لا تكون علامة مضمر مرفوع قال الشاعر :

وكم موطن لولاى طحت كما هوى بأجرامه من قنة النيق منهـــوى

وهذا قول الخليل ويونس (٣) :

فهو يوجه مجىء الضـــــمير المجرور بعد لولا الذى جاء عـــــلى خلاف القياس ، اذ القاعدة أن الذى يقع بعد لولا الاسم الظـــــاهر أو ضمير الرفع المنفصل كما ورد فى الآية التى فى النص المتقدم فهو يحاول أن يخضع التركيب للقاعدة المستقرأة ، وهى أن الضمير لا يتصل الا بما يعمل فيه ، فاذا وقع الضمير متصلا بلولا كان ذلك دليـــلا على أن لولا عاملة فيه ، ولمـــا كان هذا الضمير لا يقع موقع المرفوع ، ولولا لا يمكن

---

(١) المرجع السابق .
(٢) سبأ الآية ٣١ .
(٣) الكتاب ٢ : ٣٧٣ ـ ٣٧٤ .

أن تكون عامل نصب فى الاسم ، كان لا بد من أن تكون حرف جر،ويكون موضع الضمير جرا به (١) •

وقد كان يستخدم أحيانا مستوى القلة أيضا ، وهو ضرب غير مرزول عنده اذا راعى أصلا من أصول اللغة ، وكثيرا ما نراه يجيزه اذا صح عنده نقله عن الفصحاء •

ومن ذلك ما نقله عنه سيبويه فى حديثه عن اذن التى ذكرنا لها مثلا فيما تقدم حين يجتمع لها شروط العمل فى الفعل المضارع حيث قال :

« وزعم عيسى بن عمر أن ناسا من العرب يقولون : اذن أفعل ذاك «برفع الفعل المضارع» فى الجواب ، فأخبرت يونس بذلك فقال : لا تبعدن ذا ولم يكن ليروى الا ما سمع » (٢) •

فيونس يرى أن اذن حين تجتمع لها شروط العمل ولا تعمل فهى لغة قليلة تستند على لغة من اللغات •

ورأيه فى الضرورة الشعرية يعبر عنه تلميذه سيبويه بقوله :

« وليس شىء يضطرون اليه الا وهم يحاولون به وجها » (٣) •

---

(١) راجع الفصل فى تاريخ النحو ٢٢٣ •
(٢) الكتاب ٣ : ١٦ •
(٣) نفسه ١ : ٣٢ •

قال الفـــــرزدق :

مستقبلين شمال الشام تضربنا
بحاصب كنديف القطن منثور
على عمائمنا تلقى وأرجلنـــا
عـــلى زواحـــف مخهـــا ريـــر

قال ابن سلام : قال ابن أبى اسحق : أسأت أنها « رير » بالرفع وكذلك قياس النحو فى هذا الموضع ، وقال يونس : والذى قال جائز حســـــن .

فهو يوجه قول الفرزدق وكأن أصل التركيب : عـــلى زواحف رير مخها وبيت الفرزدق شبيه ببيت الزباء :

ما للجمال مشيها وئيدا أجندلا يحملن أم حديدا

فيمن رواه برفع مشيها أى : ما للجمال وئيدا مشيها ، فلغة الشعر تجيز مخالفة القواعد النحوية .

ونقل بعضهم عن يونس أنه لا يعرف للضرورة وجها على غـــــرار ما تجده يفعل حيال قول الفرزدق :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المـــال الا مسحتا أو مجلف

قال ابن سلام : وكان يونس لا يعرف له وجها أى رفع مجلف .

وفى بعض الأحيان يخطىء الأسلوب بناء على قياس ممزوج بالعلة، فقد ذكر سيبويه أن يونس كان لا يجيز أن يجر الاسم بعـــد «كيف» فى مثل : ما مررت برجل مسلم فكيف رجل راغب فى صدقة قال سيبويه :

وزعم يونس أن الجر خطأ لأن أين ونحوها يبتدأ بهن ولا يضمر بعدهن » (١) .

وهكذا كان معيار الفصاحة عند يونس ينبع مما وقر فى ذهنه وذهن شيوخه من تقسيم الرقعة اللغوية زمانا ومكانا ، فما قدم من اللغات ، وما تكلم به أعراب نجد أو بداة الحجاز وما وافق لغة الشعر ، ولغة القرآن وما شاع وانتشر كان فصيحا جيدا ثم تأتى بعد ذلك معايير المستويات الأخرى بحسب ما تتصل بهذا الفصيح قربا أو بعدا عنه (٢).

واذا كان يونس صاحب أقيسة مبتكرة أحيانا وله مذاهب يتفرد بها فان هذا لا يعنى أن سيبويه لم يخالفه ، فقد خالفه فى بعض الآراء ووصف رأيه بالقبح .

ففى باب الجزاء اذا أدخلت عليه ألف الاستفهام قال :

وذلك قولك : أ ان تأتنى آتك ولا تكتفى بمن لأنها حرف جزاء ، ومتى مثلها فمن ثم أدخل عليه الألف فتقول : أمتى تشتمنى أشتمك ، ، وأمن يقبل ذلك أزره وذلك لأنك أدخلت الألف على كلام قد عمل بعضه فى بعض فلم يغيره ، وانما الألف بمنزلة الواو والفاء ... وأما يونس فيقول : أ ان تأتنى آتيك وهذا قبيح يكره فى الجزاء وان كان فى الاستفهام » (٣) .

---

(١) الكتاب ١ : ٤٣٥ .

(٢) راجع المفصل فى تاريخ النحو للدكتور الحلوانى ٢٢٥ .

(٣) الكتاب ١ : ٤٤٤ .

فيونس يخالف النحاة ويأتى برأى منفرد فى هـذا الباب ، حيث يرى أن جواب الشرط يجوز أن يأتى مرفوعا اذا دخلت همزة الاستفهام على أداة الشرط كقولك :

أ ان تأتنى آتيك باثبات الياء فى آتيك على أنه فعل مضارع مرفوع مع أنه واقع جواب شرط لكلمة أن الشرطية الجازمة لكنها حينما دخلت عليها همزة الاستفهام جاء الجواب مرفوعا ، وكان حقه أن يكون مجزوما لذا فلم يقبل سيبويه ما ذهب اليه يونس ووصف رأيه بالقبح ، وقـد استدل سيبويه على كلامه بأن همزة الاستفهام لا تغير شيئا فى المستفهم عنه فهى نظير واو العطف أو الفاء أو ما شابه ذلك من الحـروف التى لا تأثير لها فى التعبير (١) .

ومن الأشياء التى عارضها سيبويه ما ذهب اليه يونس من أن الحال يجوز أن تأتى معرفة كقولهم : مررت به المسكين «بالنصب» على تأويل مسكينا غير أن سيبويه رفض هذا الرأى قائلا أن هذا لا يجوز ، وأعرب كلمة «المسكين» فى المثال المتقدم على أنها مفعول لفعل محذوف تقـديره «لقيت» قال فى الكتاب :

« وزعم الخليل أنه يقول : مررت به المسكين «يجر المسـكين على البدل من الضمير فى به » ـ على البدل وفيه معنى الترحم ، وكان الخليل يقول ان شئت رفعته من وجهين فقلت : مررت به البائس «بالرفع» كأنه لمـا قال مررت به قال : المسكين هو كما يقول مبتدئا المسكين هو والبائس أنت ، وان شاء قال : مررت به المسكين بالنصب كما قال :

---

(١) راجع يونس البصرى ١٨٠ .

وفيه معنى الترحم ، وأما يونس فيقول : مررت به المسكين «بالنصب» على قوله : مررت به مسكينا ، وهذا لا يجوز لأنه لا ينبغي ان يجعله حالا ويدخل فيه الألف واللام ... ولكنك ان شئت حملته على أحسن من هذا كأنه قال لقيت المسكين (١) .

ورفض سيبويه لما ذهب اليه يونس ليس بشيء لأن ما ذهب اليه يعضده السماع والقياس ، لذا وجدنا السيوطي ينتصر ليونس فيقول :

يجب في الحال التنكير ، لأنها خبر في المعنى ، ولئلا يتوهم كونها نعتا عند نصب صاحبها أو خفاء اعرابها هذا مذهب الجمهور ، وجوز يونس والبغداديون تعريفها نحو : جاء زيد الراكب قياسا على الخبر وعلى ما سمع من ذلك ، وورد عن العرب أحوال مقترنة بالألف واللام كقولهم : مررت بهم الجماء الغفير ، وأرسلها العراك ، وأدخلوا الأول فالأول ، وقرىء (ليخرجن الأعز منها الأذل) (٢) وهي مؤولة على زيادة اللام وورد العرب أيضا أحوال مضافة نحو : تفرقوا أيادى سبا ، فأول بتقدير مثل أو تبددا لا بقاء معه ، وطلبته جهدى وطاقتى ووجدي ، فأول بتقدير : جاهدا ومطبقا ومنفردا ، ورجع عوده بدئه أى عائدا ، ومنه عند الحجازيين العدد من ثلاثة الى عشرة مضافا الى ضمير ما تقدم نحو :مررت بهم ثلاثتهم أو خمستهم أو عشرتهم وتأويله

---

(١) راجع الكتاب ١ : ٢٥٥ .

(٢) المنافقون الآية ٨ .

عند سيبويه : انه فى موضع مصـــدر وضع موضع الحـــال أى مثلثا أو مخمسا لهم ، وبنو تميم يتبعون ذلك فى لما قبله فى الاعراب توكيدا فعلى هذا يقـــدر بجميعهم وعلى الأول بجميعا ، وهل يجـــرى ذلك فى مركب العدد ؟ فقيل لا والصحيح الجواز فيقال : جاء القوم خمسة عشرهم ، والنسوة خمسة عشرتهم بالنصب ، وورد أيضا من الحال ما هو عـــلم قالوا : جاءت الخيل بداد ، وبداد علم جنس فأول بمتبددة (١) •

فما ذهب اليه يونس كان مستندا فيه الى السماع والقياس على الخبر ومن ثم واقتـــه الكوفيون على ما ذهب اليـــه بينمـــا رفض ذلك البصريون ومنعوا ذلك غير انهم وقفوا عاجزين أمام الشواهد الكثيرة وراحو يؤولونها تأويلا بدت عليه مسحة التكلف المصنوع انطـــلاقا من عادتهم التى لا تفارقهم اذ قلما تجد قاعدة عندهم تســـلم من هـــذا النـــلاء يذكرون القاعدة ويتبعونهـــا بأمثلة خارجة عليها مخالفة لهـــا يتناولونها بالتأويل النافر والتمحل البعيد كى تساير قاعدتهم وتساوق مذهبهم ، وكأن القاعدة هى الأصل والكلام العربى هو الفـــرع ، فان أعوزهم التأويل والتمحل أسعفهم الحكم بالقلة أو الندرة أو الشـــذوذ أو ما شاءوا من أسماء كهذه يقضون بها على كل ما يخالف ضـــوابطهم وأحـــكامهم (٢) •

وبذلك يمكن القول ان يونس فى نحوه وما وضعه من أقيسة أمـــة وحده ، ولذلك قالوا : كان ليونس مذاهب وأقيسة ينفرد بها •• لذا فلم

---

(١) همع الهوامع ١ : ٢٣٩ •

(٢) راجع يونس البصرى للدكتـــور مكى الأنصـــارى ١٨٨ واللغة والنحويين القديم والحديث للأستاذ عباس حسن ص ٩٠١ •

يكن عجيبا أن وجدنا كثيرا من آرائه تخالف سيبويه وأستاذه الخليل من ذلك (١) .

كان الخليل يرى أن الزائد فى مثل (قطع) هو الحرف الأول ، وكان يونس يرى أنه الحرف الثانى (٢) ، وكان الخليل يرى أن مفعول ننزع محذوف فى الآية الكريمه (ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد (٣)) والتقدير : لننزعن الفريق الذى يقال فيهم : أيهم أشد وقال يونس : جملة أيهم أشد هى المفعول (٤) ، وكان الخليل وسيبويه يريان أن تصغير قبائل : قبيئل ، وكان يونس يرى أن تصغيرها : قبيل (بتشديد الياء المكسورة) وكان سيبويه لا يرد المحذوف فى تصغير مثل (يضع) فيقول يضيع بينما كان يرده يونس فيقول فى تصغيره : يويضع (٥) ، وكان يونس يذهب الى أن تاء أخت وبنت ليست للتأنيث ؟ لأن ما قبلها ساكن صحيح ، ولأنها لا تبدل فى الوقف هاء فيقول عند النسب : أختى ، بينما يرى سيبويه أن هذه التاء للتأنيث ويحذفها ويأتى بالحرف الآصلى المحذوف فيقول : أخوى ويعتمد على القرائن حين يتطرق اللبس اليها (٦) .

---

(١) راجع المدارس النحوية ٢٨ ـ ٢٩ .

(٢) الخصائص ٢ : ٦١ .

(٣) مريم الآية ٦٩ .

(٤) المغنى ٨٢ .

(٥) المنصف ٢ : ٨٥ .

(٦) راجع شرح الأشمونى ٤ : ١٩٤ ـ ١٩٥ ط الحلبى .

وبعـــد •

فيونس بن حبيب يعد من الشخصيات النحوية الرائدة التى كان لها أثرها البعيد فى محيط الدراسات النحوية والصرفية واللغوية بوجه عـــام ، ومن ثم تعددت اتجاهـــاته •• الأمـــر الذى جعـــل الباحثين يستخلصون من مذهبه النحوى ، اللغة المعيارية عنده باعتباره متقدما وركيزة أرست دعائم النحو وشادت من بنيانه فهو لا يقل بأى حال عن الأئمة الأكابر أمثال الخليل بن أحمد وأبى عمرو بن العلاء وابن أبى إسحاق الحضرمى وعيسى بن عمر وغيرهم •

د• أحمد محمد عبد الله